الفصل الاول : العراق من القرن السادس عشر حتى القرن الثامن عشر:

اولاً: التنافس الاقليمي على العراق :

تزعم الشرق الاوسط في مطلع القرن الخامس عشر الميلادي ثلاث دول: احداها قديمة وهي دولة المماليك في مصر والشام والحجاز واليمن. والثانيتان ناشئتان هما الدولة العثمانية في الاناضول والبلقان، والدولة الصفوية في فارس.

قامت الدولة الصفوية في فارس على انقاض دولة الآق قوينلو التركمانية . تنتسب الاسرة الى الشيخ صفي الدين الاردبيلي ، الذي وصل الى مرتبة (الولاية) وادعى الانتساب الى الامام السابع موسى الكاظم (عليه السلام) . وبسبب شهرته ولياً ، التف حوله عدد من المريدين في اوائل القرن الرابع عشر ، اخذ عددهم يتزايد في عهد ابنائه واحفاده . فحققت الاسرة نفوذاً واسعاً في نواحي اذربيجان . ترسخ في عهد خوجا علي حفيد مؤسسها .

اخذت الطريقة الصفوية بالانتشار من اردبيل ، ساعدها في ذلك الارث الذي حصلت عليه من الوقف الذي مكن الشيخ الصفوي من الانفاق على اتباعه . وقد اثارت هذه الحالة مخاوف حاكم امارة القرة قوينلو جهان شاه ، فاضطهد رجال الاسرة وحاصر مريديها . مما دفع الشيخ جنيد الصفوي الى الالتجاء الى حسن الطويل سلطان الاق قوينلو املاً في استخدام الصفويين اداة ضد اعدائه : العثمانيين في الاناضول و القرة قوينلو في ايران والعراق . وهكذا ازداد نفوذ الصفويين واخذت دعوتهم بالانتشار ، وقام الشيخ جنيد بمحاولة لمد نشاطه في مناطق شيروان جنوب بحر قزوين ، ولكنه لقي مصرعه خلال معركة مع شيروان شاه خليل الله، دارت بوادي قرة صو في نيسان عام ١٤٦٠م .

واصل حسن الطويل رعايته للصفويين ، ودعمه لحيدر ولد الشيخ جنيد ، وكان اهم اعمال حيدر تشكيلة قوة عسكرية من مريديه ، وابتكار القلنسوة الحمرة يعتمرها جنده الذين عرفوا نسبة اليها بـ (القزلباش) . قدر لهذه القوة ان تؤدي اخطر الأدوار في ترسيخ قوة الصفويين .

تم انفصال عرى التحالف بين الصفويين والاق قوينلو بعد موت حسن الطويل، فتعرضوا للاضطهاد والمطاردة من خلفائه يعقوب ورستم . وبموت الاخير عام ١٤٩٧م ، واندلاع الحرب الاهلية في دولة الاق قوينلو بين الامراء المتنافسين ، وتفكك الدولة . انتهز اسماعيل بن حيدر الذي الت اليه زعامة الصفويين ، الفرصة فتحرك على رأس اتباعه في مطلع القرن السادس عشر الى شيروان ، والحق هزيمة كبيرة بحاكمها فرخ يسار وقتله

بوحشية . بعد ذلك قاتل الوند حاكم الاق قوينلو في اذربيجان ، حيث دار معركة شرسة انهزم فيها الوند عام ١٥٠١ . مما فتح الطريق امام اسماعيل للدخول الى تبريز وتوج شاهاً معلناً قيام الدولة الصفوية .

اعلن الشاه اسماعيل في اعقاب انفراده بالحكم ان التشيع مذهب البلاد الرسمي . وقرر ان ينشر مذهبه الى اقصى درجة ممكنة وتطلع الى الاستيلاء على العراق اولا لوجود العتبات المقدسة (النجف وكربلاء) فيه وطمعا في خيرات سهول العراق . واستولى الشاه اسماعيل على العراق . وعمل على صبغة بالصبغة الشيعية ولو بحد السيف . ثم سعى الى نشر المذهب الشيعي في الاناضول .

اما الدولة العثمانية فقد نشأت من امارة صغيرة في الجهة الشمالية الغربية من آسيا الصغرى. مؤسسها عثمان بن ارطغرل احد زعماء العشائر التركمانية . واسس ابنه اورخان جيشاً نظامياً ، وكذلك اسس الانكشارية من الأسرى الروم بعد اسلامهم وتربيتهم تربية اسلامية محكمة ، لتنتقل الإمارة من العشائري الى مفهوم الدولة .

بعد اورخان حكم السلطان مراد الاول (١٣٦٠-١٣٨٩) والذي استولى على مدينة أدرنه ثاني مدينة مهمة في الامبراطورية البيزنطية بعد القسطنطينية واتخذها عاصمة له . في هذه الظروف ترك العثمانيون الشرق وراء ظهورهم ، وبقوا يركزون انظارهم غرباً ، انتصر مراد الأول في معركة قوصره على البلغاروقتل في هذه المعركة .

خلف بايزيد والده مراد الاول وحكم بين عامي (١٣٨٩-١٤٠٢) حيث شهدت الدولة انتكاسة كبرى على يد تيمورلنك ، اخذ فيها بايزيد أسيراً ومات في الاسر. بعد تفكك امبراطورية تيمورلنك استعاد العثمانيون انفاسهم على يد مراد الثاني الذي فتح البانيا . وخلف مراد الثاني محمد الفاتح وفي عهده فتحت القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية واتخذها عاصمة له عام ١٤٥٣م .

هذا الحدث عدهُ بعض المؤرخين الحد الفاصل بين القرون الوسطى والتاريخ الحديث ، ليخلف محمد الفاتح السلطان بايزيد الثاني . الذي خلفه ابنه سليم الاول عام ١٥١٢م ، والذي شهدت الامبراطورية في عهده تحولات جذرية فتوجه نحو الشرق واستولى على الشام ومصر والحجازوحملت هذه الدولة لواء الجهاد ضد جارتها الكبيرة المرهقة " الدولة البيزنطية ".

ان رغبة العثمانيين في التوسع والاستيلاء على اراضي جديدة والحصول على موارد مالية اضافية، خصوصا بعد ان اخذ توسعهم في اوربا يواجه مقاومة شديدة، اضافة الى تهديدات

الدولة الصفوية وتحالفها مع ملك المجر ضد العثمانيين ، ورغبة كل من الصفويين والعثمانيين في زعامة العالم الاسلامي ادى الى نشوء صراع بين الدولتين ويرجع اسباب هذا الصراع الى انهما كانتا على طرفي نقيض. فقد كان الاتراك منذ دخولهم في الاسلام الحماة التقليديين للسنة النبوية. فرد سليم الاول(١٥١٢-١٥٢٠) على استفزازات الشاه اسماعيل الصفوي بأن شن حربا شاملة على الدولة الفارسية . ودارت المعركة الحاسمة بين سليم الاول والشاه اسماعيل في وادي جالديران في ٢١ اب ١٥١٤ انتهت بتمزيق الجيش الصفوي وفرار الشاه اسماعيل جريحاً ، وانفتاح الطريق امام السلطان العثماني سليم الاول الى تبريز التي دخلها دون مقاومة في ايلول ١٥١٤ . وقد حالت عدة عوامل دون استثمار السلطان سليم للنصر وانهاء الدولة الصفوية منها ، انه خشى ان يتابع تقدمه في قلب فارس بسبب صعوبة المسالك المؤدية اليها عبر الاناضول ومرتفعات الهضبة الفارسية ، هذا فضلا عن طول خطوط المواصلات وخطورتها خلال اشهر الشتاء القاسية ، وقلة المؤن ، ووعورة المسالك ، وتقاعس فرق الانكشارية عن التقدم . وكانت النتيجة المباشرة للانتصار العثماني انتهاء الحكم الصفوي لمناطق شمال العراق ، فألحقت اراضي الجزيرة وديار بكر والموصل واربيل والعمادية بالدولة العثمانية . وتزعزع الحكم الصفوي في وسط العراق وجنوبه مما مهد السبيل لأنهائه بعد عقدين من الزمن .

يعد عهد السلطان سليم الاول هو البداية الحقيقية لنمو الصراع العثماني– الفارسي سياسياً وعقائدياً واقتصادياً وحربياً ، وهناك عدة عوامل افضت الى بلورة ذلك الصراع ، منها:

١- العامل السلطوي : الذي تجسد بتنازع أسري الحاكمتين العثمانية والصفوية ، اذ كانت حماية الاخيرة لعشرات المنهزمين من الدولة العثمانية بداية حكم سليم الاول بمثابة عامل مباشر في انفجار الازمة التي كانت قد نضجت بتأثير نوازع ومسببات اخرى .
٢- العامل الطائفي : لقد كان لانفجار الحركة الصفوية التي اشعلها الشاه اسماعيل في بث مذهبة عنوةً ، وتوسعاته السياسية من اجل تثبيت غاياتها ، اثارة واضحة ليس فقط للحفيظة الدينية – العثمانية ، بل كان عاملاً فعالاً في تغيير الاستراتيجية السياسية للعثمانيين ، وتوجيه انظارهم نحو المشرق العربي ، بعد ان كانت اوربا شغلهم الشاغل ن وبذلك بدأت اولى حلقات النزاع المزمن بين العثمانيين والصفويين .

٣- العامل السياسي : ان للخلاف العثماني-الصفوي ، اسبقيات سياسية في تاريخ المنطقة على مدى عدة احقاب ، وقد وصلت ذروة ذلك الخلاف السياسي في عهد الشاه اسماعيل الصفوي الذي شكلت طموحاته السياسية في بناء امبراطورية شاسعة الاطراف على غرار الدولة العثمانية في مكتسباتها القوية ، سبباً اساسياً في تفجير المواقف ، فضلاً عن ذلك ، ان شاه بدأ يستغل الصراعات العثمانية الاوربية لصالح علاقاته السلبية مع العثمانيين .

٤- العامل الاقتصادي: فالحصار التجاري الذي فرضته الدولة العثمانية على اعدائها كان فعالاً في استعمالاته للأسلحة في الحرب التي خاضتها ضد الدولة الصفوية ، وهذا ما كان يهدف اليه السلطان سليم في ان يحول دون ان ينال الايرانيون عدة الحرب المتضمنة الحديد والنحاس ، كذلك من خلال منع تجارة الحرير التي استهدفت تخفيض مدخولات الشاه ومطالبه .

قسم بعض المؤرخين الحكم العثماني في العراق الى خمسة عهود مختلفة لكل منها طابعه الخاص ، وتلك العهود هي :-

الاول:- ويبدا بدخول السلطان سليمان القانوني بغداد وحتى دخول الصفويين اليها مرة اخرى (١٥٣٤-١٦٢٣م).

الثاني:- ويبدا منذ استعادة السلطان مراد الرابع لبغداد الى بداية حكم المماليك (١٦٣٨-١٧٤٩م).

الثالث:- عهد المماليك (١٧٤٩- ١٨٣١م).

الرابع:- عهد اعادة الحكم المباشر (١٨٣١-١٨٦٩م) للدولة العثمانية.

الخامس:-منذ تعيين مدحت باشا والياً على بغداد حتى نهاية الحكم العثماني (١٨٦٩-١٩١٨م).